لا أظنني في حاجة الى وصفها لك فأنت بها عليم خبير - تعثر على السبب الذي جعلنا نتأخر حين تقدّم الناس ونكتفي بالوقوف آخر الصف منتظرين نزول قوة من السماء تصعد بنا الى السماك من دون ان نتعب أو نخاطر، ان المغربي ليست له اليوم مطامح ولا ثقة بنفسه ، ولكن اذا توصل ادباؤنا وكتابنا وشعراؤنا الى إحياء عاطفة الطموح فيه فسيكون منه العجب العجاب ، اذ اعتقد أن الشعب المغربي من أرقى الشعوب واذكاها ولا يحتاج الا الى مدة قصيرة يغير فيها رأيه في نفسه ليسير بخطى واسعة نحو المرتبة الجديرة به - ولا سبيل للتأثير عليه الا بعرض مجده الاثيل أمامه وتذكيره بما كان له من الفخار في سالف الازمان ، فعسى أن ينتبه ادباؤنا الى هاته الناحية ويعطوا اهمية كبيرة لتاريخنا ، وهم ليسوا مطالبين بزيادة في التاريخ أو قلب للحقائق ، فالتاريخ المغربي - والحمد لله - مشرف غاية الشرف ولا تعوزه الا عقول ذكية وعواطف شاعرية وأقلام بليغة تدرك مفاخره وتمجد ابطاله وتقرب مكنونه الى الافهام - وقد توفرت هذه الشروط في بعض ادبائنا الكبار الذين يعقد عليهم المغرب آمالاً واسعة وينتظر منهم أعمالاً مجيدة فإلى هؤلاء بالخصوص والى الادباء عامة أوجه نداء حاراً أرجوهم - بما يكنون من المحبة لبلادهم - ان يطرقوا مواضيع تاريخية قومية مغربية وان يقصدوا في اسلوبهم البساطة والوضوح ليستفيد منهم الطلبة ، وليتيقنوا انهم يخدمون بذلك وطنهم خدمة كبيرة وسيرون - ان هم اقدموا - نتيجه كتاباتهم في أقرب مدة .

فإلى العمل والمجد للمغرب .

محمد ملين

حول نهضة المرأة

نزعة الى التطور

المرأة المغربية

عذبة تلك الاغاني التي سمعتها وأنا مار بإحدى أزقة فاس ، أغاني كانت تنبعث من أفواه فتيات صغار كن يرسلنها عفواً في غير مشقة ولا عناء منغمة سائغة قد زادها عذوبة ولذة نبرة صوتهن الطفلي ، ولست أعرف شيئاً أحسن وقعاً على السمع من لثغة الاطفال ولا أبعث للنشاط من الاستماع لحديثهم ، كن يرسلن هذه الاغاني بالفرنسية وهن راجعات من احدى المدارس التي أسستها الحكومة لتعليم البنات ، وقد دقت الثانية عشرة فكن يسرعن الى منازلهن ليتناولن الغذاء ولكن شهوتهن لم تصرفهن عن الاسترسال في الغناء فبعثت طرفي وقلبي إثرهن ولكني ما لبثت أن جعلت أمشي وراءهن حين أخذن يختفين عن بصري .

أراني اليوم عاجزاً كل العجز عن تصوير ما تركن في نفسي من أثر ، شعرت حين غبن عني بسرور لا يعدله سرور واغتباط ليس الى تكييفه من سبيل فها أنا أذكر الآن نظراتهن الغريرة وقد شخصن ببصرهن الي ينظرن الى شخص أوقفته ألحانهن اللذيذة فجعل يبتسم لهن مبتهجاً بابتهاجهن نشطاً بنشاطهن ، وها أنا أذكر ذلك الزي الظريف الذي اتخذنه خاصاً بالمدرسة : أحذية اروبية تحتوي على أرجلهن الصغار وذراريع تحيط بثيابهن ورؤسهن مكشوفة قد عافت كل ستر فأبانت ظفائرها أو القت شعورها التقية عن سجيتها .

لا زال هذا المنظر مرتسماً على صفحة ضميري ولا

زلت أراهن ينطلقن قواصد بيوتهن وقد توشجت أيديهن وألفت بين قلوبهن رابطة العلم ، ها هن يرسلن أغانيهن بالفرنسية لا يفهمن مما يفهن به شيئاً كثيراً ولكنهن مغتبطات بهذه الاغاني يعدنهـا مرة ومرة في غير ضجر ولا ملل .

يالها من نزعة جديدة وميل قوي الى التطور ! أرى فتياتنا راضيات كل الرضى عما يراد بهن من تحسين لا يضقن ذرعاً بهذا الزي الطريف ولا يستنكفن من الخروج عن العادات القديمة والتقاليد العتيقة ، لقد كنت أحسب قبل اليوم أن فتاتنا أشد الفتيات احتفاظاً بالقديم وأقوى تشبثاً بما وضعت لنا الايام من عادات يمجها ذوقنا الحديث وطبائعنا التي يعسر اليوم ارضاؤها بما لدينا من وسائل الارضاء ، ولقد كنت أحسب أيضاً أن الزمان أمات في قلبهـا كل نزعة الى مثل أعلى في الحياة فهاهي تبدي لنا عكس ما كنا نظن وها نحن نراها تنشد ذلك المثل الاعلى الذي أوشكت أن تفقد الشعور بوجوده ، كانت هذه النزعة كما يحدث لبعض خوالج النفس ممعنة في سبات طويل فلما ألقت المدرسة بذورها في نفس فتياتنا أثارت كوامنها وحركت فيها ما كان في حالة الاغفاء ، وهذا ما يجعلني أعتقد أن للمرأة المغربية استعداداً لكل اصلاح يراد بحياتها المادية والعقلية ورغبة قوية في أن يكون لها نصيب في رفع مستوى المغرب وربمـا كانت هذه الرغبة « لا شعورية » (Inconsciente) ولكنها رغبة لها قيمتها ومـا علينا الا أن نتعهدها ونبذل في تنميتها ما في وسعنا من جهود .

ومما يؤيد إيماني باستعداد المرأة المغربية إلى التطور هو ما أراه فيها من ميل شديد الى تغيير ظاهرها ونزعة الى الحياة الجديدة ، فليست هذه النزعة خاصة بفتياتنا اللواتي يختلفن الى المدرسة وليس هذا المثل الأعلى الذي تنشده المرأة المغربية بمحتكر لدى كل فتاة عرفت بعض الكلمات الفرنسية وتلقت دروساً في النسج والتطريز وما الى هذا وانما هي نزعة عمت حتى النساء اللواتي بلغن الثلاثين ، لك أن تذهب يوماً من ايام الربيع الى أي مكان ازدهرت فيه الطبيعة فتفتحت الازهار ولبست الارض رداءها الاخضر وغنت الاطيار بأعذب وأشجى ألحانها لترى نساءنا وقد لبسن أثواباً من الثياب تتفق والفصل الذي نحن فيه ولتراهن ينفقن ساعات طوالاً في التمتع بالحياة ، لك مثلا أن تذهب الى « سيدي حرازم » أو الى أحد المتنزهات العمومية لتتبين مبلغ هذه النزعة والميل الشديد الى إظهار شخصياتهن فهن يحاولن أن يفهمننا أنهن خرجن من الطور الذي كانت تعد فيه المرأة نكرة من النكرات وأن لهن حقوقاً ونصيباً في الحياة ليس الى إنكاره من سبيل ، أقم يوماً من ايام الربيع في « سيدي حرازم » حيث الهواء الطلق وحيث النخيل وصنوف الاشجار وحيث البرك الدفئة وحدثني عما رأيت وسمعت اثناء هذه الاقامة ، لست ترى إلا نساءً ورجالاً وولداناً ولست ترى إلا نشاطاً عاما : رجال يسبحون ويكثرون من الصياح والضجيج ونساء في بركتهن الخاصة لا تسمع لهن إلا ضحكا وزغردة ، وهنا وهناك زمر متفرقة منهن تتفيأ ظلال الاشجار وتستمتع بالنسيم العليل .

وكل ما تراه عين العابر إن هو الا اشخاص قد استبدلوا بلباسهم العتيق لباساً ملائماً لروح النزعة التي جعلت تذهب بهم كل مذهب ، فنساءنا اليوم - وإن بقي بعض الشذوذ - ينكرن انكاراً ارتداء (الحايك) ويابين كل الاباء الا أن يلبسن جلباب الرجال ويحتذين خفافاً اوربية أو خفافاً مغربية دخلها بعض التحسين ، كل هذا وهن يحتفظن ما وسعهن الاحتفاظ بنقابهن .

ألست ترى ان هذا الضرب من الاستمتاع بالحياة

يشبه من بعض الوجوه ما نراه في سائر الخلجان من الاستلام للنور والماء والهواء الطلق ؟

هذا تطور ولا شك ظاهري ولكنه تطور نرجو أن تكون له عاقبة حسنة ويكفينا الآن أن توجد هذه النزعة مستقرة في نفوس نسائنا وأن يكون مظهرها تطوراً ظاهرياً فالتطور الظاهري خطوة نحو التطور الداخلي وميل شديد الى إقامة ما بالنفس من عوج ، ولعل باسكال (Pascal) هو الذي كان يقول حسب من أراد أن يملأ الايمان قلبه أن يعتكف على الصلاة وأن يقوم بجميع الحركات الجسمية التي تستلزمها هذه الصلاة ، وحسب نساءنا اليوم أن يقتدين بالغربيين في نواحي معينة فالزمان كفيل لهن بخير ما عندهم .

ولكن كيف يمكننا أن نتعهد هذه النزعة وكيف نستطيع أن نستغلها حتى نوجد فتاة قادرة على فهم الحياة وعلى أرضاء شبابنا العسير ؟ سؤال سنعرض له فيما بعد .

محمد حنيني

من روائع الماضي

وصية أبي علي بن مسكويه

في نظام السلوك

بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما عاهد عليه أحمد بن محمد ربه وهو آمن فى سربه ، معافى في جسمه ، عنده قوت يومه ، لا تدعوه الى هذه المعاهدة ضرورة نفس ولا بدن ، ولا يريد بها مراءاة مخلوق ولا استجلاب منفعة ، ولا دفع مضرة ، عاهده على أن يجاهد نفسه ويتفقد امره ، فيعف ويشجع ويحكم ، وعلامة عفته أن يقتصد في مآرب بدنه حتى لا يحمله الشره على ما يضر جسمه أو يهتك مروءته ، وعلامة شجاعته أن يحارب دواعي نفسه الذميمة حتى لا تقهره شهوة قبيحة ولا غضب في غير موضعه ، وعلامة حكمته أن يستبصر في اعتقاداته حتى لا يفوته بقدر طاقته شيء من العلوم والمعارف الصالحة ، ليصلح أولاً نفسه ويهذبها ويحصل له من هذه المجاهدة ثمرتها التي هي العدالة ، وعلى أن يتمسك بهذه التذكرة ويجتهد في القيام بها والعمل بموجبها وهي خمسة عشر بابا : إيثار الحق على الباطل في الاعتقادات ، والصدق على الكذب في الاقوال ، والخير على الشر في الافعال ، وكثرة الجهاد الدائم لأجل الحرب الدائم بين المرء وبين نفسه ، والتمسك بالشريعة ولزوم وظائفها ، وحفظ المواعيد حتى ينجزها وأول ذلك ما بينه وبين الله عز وجل ، وقلة الثقة بالناس بترك الاسترسال ، ومحبة الجميل لأنه جميل لا لغير ذلك ، والصمت في أوقات حركات النفس للكلام حتى يستشار فيه العقل ، وحفظ الحال التي تحصل في شيء شيء حتى تصير ملكة ولا تفسد بالاسترسال ، والاقدام على كل ما كان صواباً ، والاشفاق على الزمان الذي هو العمر ليستعمل في المهم دون غيره ، وترك الخوف من الموت والفقر لعمل ما ينبغي ، وترك التواني ، وترك الاكتراث لاقوال اهل الشر والحسد لئلا يشتغل بمقابلتهم ، وترك الانفعال لهم ، وحسن احتمال الغنى والفقر والكرامة والهوان ، وذكر المرض وقت الصحة ، والهم وقت السرور ، والرضا عند الغضب ليقل الطغي والبغي ، وقوة الامل وحسن الرجاء والثقة بالله عز وجل وصرف البال اليه .

(عن معجم الادباء ص ٩٥ و ٩٩ ج ٢)

***